# العدالة أم العداوات الدفينة؟

الموقف في الشرق الأوسط يزداد سوءًا يومًا بعد يوم. ولما كان معظم سكان هذه المنطقة من المسلمين، ولذلك فمسلمو العالم كله قلقون حتمًا للوضع. كما أن هذه الأراضي المقدسة التي هي أعز شيء عند المسلمين، مكة والمدينــــة، حيث كان المصطفى ﷺ يطأها بقدميه، وتعطرت أجواؤها بأنفاسه المباركة، هذه المقدسات معرضة للأخطـــار والمؤامرات، ولذلك يُحس العالم الإسلامي كله بالألم العميق، ويصيب عامة المسلمين في كل مكان قـــلق وكرب شديدان. ولكن كجماعة منظمة، خالية من أية أهداف سياسية، وساعية لخدمة الإسلام خالصة لوجه الله تعالى.. تمتاز الجماعة الإسلامية الأحمدية بين كل المسلمين بأنها أشدهم تألمًا وقلقا.

وبقولي هذا قد يظنّ غافل أن هذا تباهٍ أجوف، أو ادعاء صرف، أو أنه يؤذي مشاعر المسلمين الآخرين.. حيث يقولون بأن هذه الجماعة يحسبون أنفسهم حملة لواء الإسلام المعتمدين أو أصحاب الترخيص المعتبرين، وكما لو كنا لا نحمل تعاطفا صادقا للإسلام، ولكنني عندما أحلل لكم الموقف سيتضح لكم أنه لو كان هناك في العالم جماعة تحس بالألم الصادق من أجل الإسلام فإنما هي الجماعة الإسلامية الأحمدية.

**السياسة نجسةٌ**

لقد أصبحت السياسة اليوم نجسة وخاوية من العدل والتقوى. والدول الإسلامية التي تتعالى باسم الإسلام لا تبني أبدًا سياستها على القيم الإسلامية، ولا على العدالة الإسلامية السامية، وإنما ترتبط بالمصالح الأنانية. ولهذا نجد تناقضًا بيّنًا بين ممارسات العالم الإسلامي. وباستثناء الجماعة الإسلامية الأحمدية، تجدون كل فرقة من الفرق الإسلامية قد انحازت اليوم إلى دولة إسلامية دون أخرى وأخذت تؤيدها، في حين أن متطلبات التقوى تقتضي أن يكـــون التأييد للقيم الإسلامية فقط. لو كان هناك حب صادق للإسلام لأخلصوا فقط لمتطلبات الإسلام، التي هي متطلبات القرآن المجيد، والتي هي متطلبات السنة المحمدية الشريفة.

ولـــو فكرنا في السياسات الحالية على ضوء تلك المتطلبات لوجدنا أنه لا سياسات المسلمين، ولا سياسات غيرهـــم تقـــوم على أخلاقيات سيدنا محمد ﷺ. الدول الأخرى تدعي ادعاءات عريضة باسم العدالة، كما لو كـــانوا هـــم وحدهم المعنيين بتوطيد أركان العدل في العالم، ولولا هم وسلطاهم لاختفت العدالة من الدنيا. وتدعـــي الـــدول الإسلامية أيضًا ادعاءات ضخمة باسم الإسلام، ولكن بالنظرة الفاحصة ترى أن العدالة التي يقدمها القرآن المجيد معدومة في الفريقين كليهما.

**السياسة الغربية ذات المكيالين**

سأتحدث الآن بصفة خاصة عن الموقف الذي نشأ حاليًا. بناءً على بعض الشكايات، قام العراق بالهجوم على دولة مسلمة صغيرة مجاورة، وقبل أن تدرك الدنيا ما حدث، سيطر العراق على البلد تمامًا. ونتيجة لذلك حدث هياج عالمي. والذين لم يُحسوا من قبل بأي ألم من أحداث مشابهة في العالم، و لم يهيجوا و لم يسارعوا إلى تقديم

المســاعدات الإستثنائية، فجأة تجلّى تعاطفهم مع الكويت متوهجًا بقوة شديدة، وأحدثوا هيجانًا قويًا لا نكاد نرى له مثيلاً في التاريخ الحديث.

ولا أريــد الحديث أكثر من ذلك عما وقع حتى اليوم، فالذين يقرأون الجرائد يعلمون بما جرى وبما يجري، ولكن أود أن أضع أمامكم أمورًا قليلة، لأريكم إلى أي حدٍ يحرص هؤلاء على متطلبات العدالة الإسلامية، أو إلى أي مدى تخلو السياسة المعاصرة منها.

عــندما اتخذت أمريكا وحليفاتها ما ارتأته من خطوات لعزل حكومة بغداد وإجبارها على الخضوع، بدا أن هذا البلد الإسلامي الكبير سوف يواجه ظروفًا خطيرة لا قِبل له بها. ولذلك ازداد اهتمامي تلقائيًا، ونظرت في الموقــف نظرة عميقة.. ما يجري من محادثات، وما يُقترح من حلول. مؤخرًا زار أمريكا الحسين ملكُ الأردن، وظُــن أنه يحمل خطابًا معه، ولكن اتضح أنه لم يحمل خطابًا، بل رسالة شفوية وبعض المقترحات. وأثناء ذلك كــانت لغة الحرب الكلامية في التلفزيون والراديو والجرائد فيما بين الرئيس الأمريكي و الرئيس العراقي تبين خطــورة الموقــف، وكيــف أن قــادة الدول العظمى في العالم أيضًا يتخلون عن كرامة الإنسانية المعتادة، ويستخدمون لغة هابطة. يتعجب المرء كيف أنهم يتبادلون الشتائم، ويستعملون ألفاظًا من مثل: كذّاب، سيِّء السيرة، غير أمين وما إلى ذلك من سباب. والسبب وراء كل ذلك أن دولة مسلمة كبيرة احتلت دولة مسلمة صغيرة؟

لقــد وقعت حوادث مماثلة بشكل أشد خطورة في أماكن أخرى من العالم.. ولا تزال تقع كثيرا بحيث لو أُخذت تلك الحوادث بعين الاعتبار لكانت الحادثة الأخيرة أقل أهمية بكثير. فيتأكد أن هناك أسبابًا كثيرة وراء هــذا التصعيد الاستثنائي السريع. كان الاحتلال قد تم، وبقيت مسألة هضمه. ولكن ردود فعل العالم كانت شــديدة لدرجة أن أرسل الرئيس العراقي رسالة إلى الرئيس الأمريكي: إنك إذا أردت العدالة فينبغي أن تُتبع العدالــة في كل المنطقة. نحن على استعداد لإعادة الحكومة في القطر العربي الشقيق، ونعيد السلطة إلى الأسرة الحاكمــة لتصير الأحوال كما كانت من قبل. ولكن ثمة مواقف مماثلة في المنطقة. هناك احتلال غير شرعي تم بمعرفتكم وتعاونكم، عليكم أن تساعدوا في تحرير المنطقة من الاحتلال. هناك مثلا احتلال الإسرائيليين للضفة الغربية بالأردن، ذلك الاحتلال الذي يزداد رسوخا كل يوم، ويوطنون هناك مهاجرين الروس. هذا احتلال من أنــاس يختــلفون في كــل شيء حتى في الدين، ويحمل لهم العرب عداوة شديدة، والمحتلون يشددون قبضتهم ويوطدون احتلالهم، ولكن قيم العالم الغربي صامتة لا تبدي حراكًا نحو هذا، ولا تظهر العدالة الغربية أي اهتمام مطــلقا. فضَــعُوا هــذا أيضًا في الاعتبار. هناك سوريا أيضًا.. الدولة الإسلامية التي أرسلت قواتها إلى لبنان واحتلتها، وتبعث جنودها لتفعل ما تشاء وقتما تشاء. فينبغي أن توقفوهم وترغموهم على الانسحاب.

يجب أن تضعوا الأحداث التي تنتمي إلى نفس المنطقة في سلة واحدة للنظر فيها.

هــذا العرض العراقي له مبررات جيدة، ولو أنك تحدثت على ضوء متطلبات العدل فينبغي فعلا أن تنظر في الأحداث التي وقعت بالمنطقة ككل.

وهـــناك نقـــاط أخرى تتعلق بالموضوع. إذا نظرت بمنظار التقوى والعدالة فليس هناك مبرر شرعي لهجوم العراق على الكويت، ولكن أيضًا ليس هناك مبرر ولو ضعيف لتحتل إسرائيل الضفة الغربية من الأردن وتضمها إليها بصفة دائمة.

وبالإضافة إلى ذلك نسب إلى العراق بعض أعمال العنف والعدوان. فمثلا أذاعت وسائل الإعلام الغربي أن أحد البريطانيين قُتل بأيد العراقيين عند الحدود أثناء محاولته مغادرة البلاد.

وهـــذه، إن صحت، حادثة واحدة، لو قُورنت بما حدث في لبنان أو في المناطق التي دأب اليهود على ارتكاب اعـــتداءاتهم فيها، أو لو قورنت بهجوم إسرائيل على العراق لتدمير المفاعل النووي العراقي في وضح النهار بلا حيـــاء، لو قورنت بكل هذه الأحداث ما كانت شيئا يذكر. ولكن لم يرفع أحدهم عندئذ إصبعا واحدة، و لم يحـــرك الإعلام الغربي ساكنًا! عندما يُقتل رجل واحد منهم تزمجر وسائل الإعلام في أنحاء العالم، ولكن هناك آلاف الـــناس العزل المضطهدين عجائز وأطفالاً يرقدون عاجزين في المعسكرات، تُقْطَع منهم الرقاب، وتحطم رؤوس أطفالهم بالأحجار، ويُذبحون أمام عيون أمهاتهم الناحبات، ثم لا تنجو الأمهات من القتل بعد ذلك. وقد وقعت هذه الأحداث الرهيبة في لبنان، ولكن لم يرفع أحد منهم الصوت ضدها.

الســـؤال الآن: هل هذه الأمور من العدالة أم هي شيء آخر؟ إذا كانت مبرراتهم قائمة على العدالة، فلا بد من أن تشمل العدالة كل نواحي العالم بنفس النظرة، فمعايير العدالة لا تتغير.

كمـــا نشروا إشاعات بأن جنود العراق أساءوا معاملة مضيفات الطيران البريطانيات واغتصبوهن، وهاجت أيضًا وسائل الإعلام. ولكن منذ عدة أشهر يتعرض السكان المسلمون الفقراء رجالاً ونساءً وأطفالاً في كشمير لاعـــتداءات وحشية مستمرة فتُغتصَب النساء وتُمارَس أنواع العدوان. وقد وصلتني أخبار عن أحداث وحشية تقشـــعر مـــنها الجلود وتنخلع من هولها القلوب. ما هي الدول الغربية التي لامت الهند على هذه المظالم؟ وأية وســـائل الإعلام الغربية أذاعت هذه الفظائع أمام العالم بصورة ملفتة؟ يغمضون أعينهم عن كل هذه الأحداث الوحشـــية التي تتكرر كل يوم! وقبل أن يهدأ صراخهم وضجيجهم بشأن تلك الحادثة التي قيل إنها وقعت في العراق.. تبيّن أنها محض كذب واختلاق!

**احتجاز المدنيين غير إسلامي**

إن العـــراق أيضًـــا لا يوفي بمتطلبات العدالة الإسلامية. فالإسلام لا يسمح، حتى في حالة الحرب، أن يُتخذ المواطـــنون المنتسبون لدولة محاربة رهائن للمقايضة والمساومة، ولا يجيز اضطهادهم بأية صورة تخالف التقوى. فالاضـــطهاد هو ضد التقوى على أية حال. إن الإسلام ضد كل إعتداء، تشهد بذلك كل وقائع النبي الكريم ســـيدنا محمـــد ﷺ. لم يكـــن هناك حادثة واحدة تعرض فيها أبناء أمة يعيشون في بلاد المسلمين لأي بغي أو تجـــاوزات، وإن كـــانت أمـــتهم في حرب مع المسلمين. كانوا دائما أحرارًا، يتحركون كيفما يشاؤون، و لم يـــرتكب أحد من المسلمين ضدهم أي عمل ظالم، بل يُوصي الإسلام حماية أي إنسان إذا طلب الحماية وإن كان من الأعداء.

ولكن مسؤولي العراق تجاهلوا هذه القيمة الإسلامية الأخلاقية السامية، واعتبروا النزلاء البريطانيين والأمريكيين المقيمين في العراق والكويت ممنوعين من مغادرة البلاد، وحرموهم من الحياة العادية في مساكنهم، وحشروهم في فنادق معينة. ولم يسلم النزلاء من البلاد الإسلامية أيضًا من هذا القيد. ويتضح من تطور الأحداث أن هؤلاء النزلاء سوف يُتخذون رهائن في العراق. وهذا الإجراء مخالف للقيم المعروفة في العالم، دعك من القيم الإسلامية السامية. فأين القيم الأخلاقية؟ في عالم اليوم، سواءً في بلاد الإسلام أو غيرها، لا توجد سياسة تفي بمتطلبات الأخلاق الإسلامية العادية. هناك ثغرات واسعة في كل مكان.

**لماذا تجويع الأبرياء؟**

وأخيرًا، اعتمادًا على قرارات مجلس الأمن، يُحكمون بالقوة العسكرية الحصارَ على العراق من جميع الجهات. منعوا كل شيء يدخل أو يخرج من البلد. وبهذا يرتكبون نوعين من التجاوزات الأخلاقية الخطيرة: أولهما أن الأمم المتحدة لا يمكن أن تكون قد شملت في قرارها المواد الغذائية أو ضرورات الحياة، والثاني أن الأمم المتحدة لا يمكن أن تكون قد قررت إجبار كل دول العالم على المشاركة في المقاطعة.

وفي هذين المجالين تقوم أمريكا وبريطانيا بخداع مكشوف. إذ إنهم من ناحية يتهمون العراق بارتكاب أفعال غير أخلاقية، ونحن نعترف أنها غير أخلاقية من الوجهة الإسلامية، ومن ناحية أخرى هم بأنفسهم يرتكبون أفعالا رهيبة غير أخلاقية، يغلفونها بلغة الدبلوماسية، فيخفون خطورتها، ولكنها في الحقيقة لو قورنت باحتجاز أربعة آلاف بريطاني، أو ألفين من الأمريكان، بل وقتلهم، لا سمح الله، لكانت هذه أخف كثيرًا من تلك. ذلك أنهم يدخلون الأردن في هذا الظلم. ودولة شرق الأردن كانت دائمًا مخلصة للعالم الغربي، بل كانت مخلصة لهم لدرجة مخجلة. وهي كانت أشد البلاد الإسلامية في الشرق الأوسط إخلاصًا للغرب. ومع أن المملكة السعودية هي أيضًا من المخلصين لهم جدًا، إلا أن ذلك ليس وفاء للغرب فحسب، بل إن المصالح السعودية امتزجت بالمصالح الأمريكية حتى صارت شيئًا واحدًا. فالمسألة ليست وفاء. ولكن شرق الأردن الدولة الصغيرة معروفة بولائها للغرب منذ زمن طويل، ولها علاقات صداقة بل أُخوّة مع البريطانيين والأمريكان. وكانوا يضعون هذا البلد على رأس قائمة أصدقائهم في المنطقة. والمشكلة أن الأردن لو قاطعت العراق لتعرضت للموت، ولن يكون أمامها خيار سوى محاولة البقاء على حياتها. وهذه لا تستطيع صدَّ العراق، لأنها لا تمتلك القوة أمامه ولو لبضع ساعات. ولذلك تكون الأردن تحت هذا القيد.

ولكن الغرب تجاهل ذلك، وقرر جعل الأردن هدفا لتهديده إياها بالحصار إذا لم تشترك في مقاطعة العراق. ولما كان الغذاء وضرورات الحياة تدخل في مسألة الحصار كان ذلك مؤامرة لقتل الناس جوعا بطريقة مؤلمة للغاية، لإرغامهم على فقدان شرفهم وكرامتهم أو التنازل عن موقفهم.. بصرف النظر عن كون موقفهم عادلا أو غير عادل!! ليس هذا فحسب.. بل هناك أهداف شريرة أخرى ترتعد لها الفرائص.

**الدجّال**

أين هي العدالة؟ إن السياسة الغربية وممارستها الدبلوماسية تسمى في قاموس الإسلام "دَجالاً".

وقـــد وصلت بلاد الغرب اليوم إلى أقصى حدود الدَجْلِ باسم الدبلوماسية والسياسة. يغلفون جرائمهم دائمًا بأغلفة رقةٍ في الكلمات، كما أن دعاياهم القوية تقدم كلامهم في صورة منطقية.

فالأزمة تزداد عمقًا يومًا بعد يوم. وهناك أخطار شديدة ترفع رؤوسها وتتضح. ولكن هناك أخطارًا أخرى لم ترفع رؤوسها بعد بحيث يمكن أن يراها الإنسان العادي، ولكنك إذا درستها بعمق فسوف تراها. إذا نظرت إلى بركة ماء صغيرة فإنك ترى الماء أول الأمر، فإذا اقتربت رأيت السمك الطافي عند السطح، ولكلنك لو دنوت أكثر لرأيت السمك الذي يكون عند القاع والذي لم تكن تراه بادئ النظر.

وهكذا هي الأمور السياسية الدنيوية.. ينظر الناس العاديون بالنظرة السطحية، ثم بعد ذلك يرون من السمك ما يـــرفع رأسه. أما إذا نظرت بعين المؤمن وبصيرة الذكي.. رأيت الموقف الصحيح إلى أبعد الأعماق. ومن هذه الـــزاوية هـــناك أخطار كثيرة لم تتضح بعد، ولسوف يبديها الزمن، ولكني أدعو الله تعالى معكم أن يبعد تلك الأخطار التي تحوم على رأس العالم الإسلامي!

**ردود فعل غير إسلامية**

وفيما يتعلق بالفِرق الإسلامية وردود فعل المسلمين فهي ردود مؤسفة شديدة الخطورة. في إحدى خطبـــي الأخيرة أوضحت الأمر للعالم الإسلامي، وصرحت للجرائد.. وسواء نُشرتْ تصريحي أم لا.. ولكني طلبت أن يُرسَل موجز هذه النصيحة أو المقترحات إلى قادة المسلمين. وخلاصة الأمر هو أن يعود الجميع إلى تعاليم القرآن الكريم.. لأنه يقول: ﴿فإنْ تنازعتم في شيءٍ فرُدُّوه إلى الله والرسول..﴾ (سورة النساء:٦٠).. أي أن أسلمَ طريق لحسم النـــزاع أن تعرِضوا الأمر على الله ورسوله، والوجهةُ التي يوجّهكم إليها القرآن وسنة رسول الله ﷺ ينبغي عليكم أن تسيروا فيها. وفي هذا وحده السلامُ، وفي هذا وحده الحياةُ. فبدلاً من مسايرة ركب السياسيين الدنيويين لتسوية خلافاتكم، عُودوا إلى تعاليم القرآن المجيد، واستمِدُّوا النور من النهج الذي يرسمه لكم القرآن بكل وضوح.. وهو أنه في حالة النـــزاع بين بلدين مسلمين بما يهدد بنشوب حرب بينهما.. يجب على كل البلاد الإسلامية، وليس على المسلمين من شعب واحد فقط، أن تجتمع وتتشاور، وتبذل ضغوطها على البلد الذي يميل إلى الشرّ. عليهم أن يستمعوا للطرفين، وأن يسعوا لإقرار السلام العادل بينهما. فإذا لجأ أحد الطرفين المتنازعين إلى العدوان والهجوم رغم كل محاولات الصلح، فواجب المسلمين جميعًا أن يقاتلوا هذا الباغي. ولم يَرِدْ في أي توجيه قرآني أن نلتمس المعونة من الآخرين لفضّ نـــزاع بين المسلمين.

لو كانت هذه التعاليم في حسبان المسلمين لَتغيّر الموقف وما صار إلى ما هو عليه من سوء وخطورة بالغة. على ضوء هذا التوجيه القرآني إني على ثقة كاملة بأنهم إذا عملوا به.. فإن إتحاد البلاد الإسلامية، مع ما يملكونه من قوة.. سيكون قادرًا على إجبارِ الدولة الباغية منهم وكسرِ عدوانها وبغيها، مهما كانت قوتها، إن هي استمرت على موقفها الباغي. لو لم يكن ذلك ممكنًا ما شرع الله تعالى هذا التعليم. إنه تعليم من الوضوح والدقة واليقين والثقة بأنه مهما كانت الدولة المسلمة الباغية قوية.. وحاول المسلمون الآخرون تسوية الأمر

طبقًا لتعاليم الإسلام، واتحدوا جميعًا، وجمعوا قواهم، فإنهم سيقدرون على إجبار هذه الدولة على الخضوع لقرارهم. إنها بشارة أبدية يحملها القرآن الكريم لمن ينتفع بها ويطبقها.

**الموقف الحالي خطير**

ولكن الموقف الحالي أصبح خطيرًا بعد أن دعت السعودية شركاءها للتدخل الفوري وإرسال قواتهم. فها هي قوات أمريكا وبريطانيا بدأت تصل إلى هناك، بل ويسعون للضغط على الدول الكبرى لتشارك ببعض المشاركة. ووصلت من الشرق والغرب وحدات بحرية، وقوات جوية وبرية. والهدف أن يكون العراق وبعض حلفائه كالأردن في جانب وسائر العالم في الجانب الآخر. ومع ذلك يقولون إنها خطوة دفاعية، يحاولون بها وقف انتشار الخطر.

وهناك دول إسلامية وقعت معظمها تحت ضغط القوى العظمى، وأُجبرت أو تطوعت لأجل مصالحها لإرسال قواتها أيضًا. وقد بلغت الحماقة بدولة باكستان، فانضمت إلى الدول التي وعدت بإرسال جيشها إلى السعودية كي يقاتلوا إلى جانب القوات الأمريكية والبريطانية ضد الدولة العراقية المسلمة.

إن الموقف يشتد خطورة بسرعة كبيرة. والظن بأن كل هذه الاستعدادات والخطوات الضخمة هي لحماية السعودية فحسب حماقةٌ كبرى. فمَن أشد حمقًا ممن يظن أن كل هذه العمليات الهائلة الجارية، والحصار البحري من جميع الجهات، وهذه الطائرات المقاتلة المتطورة الخطيرة التي لم تُستخدم في حرب سابقة، وكل هذه الأسلحة الحديثة التي تجمَّع.. هي لمجرد حماية السعودية من العراق؟!

إن الخطر الذي أخشاه أنهم بحجة الدفاع عن السعودية، سوف يحرمون العراق من الطعام والمؤن من جميع الجهات، ثم يسمحون لإسرائيل بمهاجمة العراق. وباستمرار الأردن في الطريق الذي يسير فيه ومساندته للعراق بسبب ظروفه القهرية.. يكون لهم عذر كبير في معاقبة الأردن كحليفة للعراق. ويضم اليهود الضفة الغربية من الأردن، ويحتلون ما تبقى منها، ويحتل العراق ما تستطيع من الأراضي الأردنية.. ثم بعد ذلك يعاقبون العراق عقابًا شديدًا.

ومن هذه الناحية هناك خطر من أن يزداد هذا الضغط، وبتأثير الجوع الشديد يضطر العراق إلى الركوع. فإذا أحسوا في ذلك الوقت أنه من المناسب إعطاء الإشارة إلى إسرائيل والسماح لها بالهجوم.. فعلوا ذلك. ويمكنهم القول بأننا ننضم إلى القوات الإسلامية، ونمكث هنا لحمايتهم، ولا دخل لنا بالحرب بين إسرائيل والعراق، والعالم الإسلامي كله معنا في عملياتنا الحربية الدفاعية، ونحن لم نرتكب أي عدوان. هذه مسألة بين العراق وبين إسرائيل، وعليهما تسويتها ولن نتدخل بينهما. وما دامت قوات البلاد الإسلامية قد حُبست هناك فلن تستطيع الانفصال ومساعدة العراق ضد إسرائيل.. لو أنها حاولت ذلك!

واعلموا أن هناك خطرًا حقيقيًّا من الانتقام من العراق وتمزيقه إربًا. ذلك لأن نار الانتقام لن تهدأ حتى يقضوا قضاء نهائيًّا على هذا البلد الإسلامي الصاعد ليكون قوة كبرى في المنطقة. ولقد نشأ هذا الهدف في إسرائيل أولاً. وما زلت أطلع على تصريحات إسرائيل في الصحف؛ وعلى الدعاية التي تقوم بها إسرائيل منذ زمن طويل

بأنها تتعرض للخطر العراقي. وهذه الأشياء شديدة الصلة بنفس الشيء. كيف أغرَوا العراق ليحتل الكويت.. ثم تلـــته هذه الأحداث؟ الله تعالى أعلم! ولكن كل هذه الأحداث ليست من قبيل المصادفات.. بل هناك أسباب وراءها. هناك مؤامرات تُدبَّر بليل وتحاك تحت الأرض. هناك عملاءُ CIA في بعض المواقع، وهناك الخونة داخل البلاد الذين ينفّذون المؤامرات السرية بذكاء خارق لتحقيق أهداف القوى العظمى. وقد ورد ذكر هذا النوع مـــن النشاط في آخر سور القرآن الكريم.. فإن ﴿الوسواس الخنّاس* الذي يوَسوِس في صدور الناس﴾ هو تلك القوى الخبيثة التي تبذر بذور الشر، ثم ترتد مبتعدة، ولا يعرف أحد من أين بدأ هذا الشر أو كيف حدث؟ ولو حدثت خطورة حمقاء.. لا يُعرَف المسئول عنها؟ ولكن في الحقيقة وراء ذلك دائمًا بعض الدول الكبرى. ومن هذه الزاوية أيضًا اتخذ الموقف شكلاً خطيرًا للغاية.

**عقارب من الأقارب!**

ولو تفحصتَ تاريخ العالم الإسلامي تبيَّن لك أن قوى الإسلام لم تتضرّر أبدًا إلا لوجود تحالفات بين البلاد الإسلامية وأعداء الإسلام. وتاريخ الإسلام كله شاهد عدل على هذه الحقيقة. فكلما وقفت قوى الغرب عائقًا أمام تقدم قوة إسلامية، أو حطمتها أو أضرّت بها من خلال أنشطة حربية معلنة أو مستترة.. تمَّ ذلك دائما بفضل معونة دولة إسلامية. وسأذكر لكم هنا التاريخ بإيجاز.. في نقاط جديرة بالاهتمام.

**أهمية سنة ٢٧١هـــ**

ذكر المصلح الموعود(ﷺ)، الخليفة الثاني للإمام المهدي المسيح الموعود(عليه السلام)، توضيح هذا الأمر أول مرة في التفســـير الكبير عند شرح القيمة العددية للمقطَّعة القرآنية ﴿المر﴾.. عندما تناول الحديث الشريف الذي يدل على أن القيمة العددية لهذه المقطّعة فيها إشارة إلى أحداث جسام من تاريخ الإسلام. والقيمة العددية للمقطّعة ﴿المـــر﴾ هـــي ٢٧١. وهذا العدد يمثل القرون الإسلامية الثلاثة الأولى.. التي هي خير القرون، القرون الآمنة المصـــونة حســـب بشارة المصطفى ﷺ. وعام ٢٧١هـــ هو العام الخطير الذي حُفر فيه أساس انحطاط العالم الإسلامي، وكل الذي وقع بعده من انقسامات وعلامات ضعفٍ في أماكن متنوعة بدأ في الواقع في تلك السنة.

وأهم الأحداث التي قدمها المصلح الموعود كعلامات لذلك هي أنه في عام ٢٧١هـــ عقدت الحكومة المسلمة في أسبانيا معاهدة مع البابا لضرب حكومة بغداد المسلمة وهزيمتها.. ووعد البابا بمساعدة مسلمي أسبانيا. ولما كـــان الـــنفوذ البابوي قويًا ومؤثرًا في عالم السياسة الغربي وقتئذ، بحيث يمكن اعتبار حكوماتهم حكومة البابا نفسه.. فكانت معاهدة خطيرة جدا، وهي تشبه مؤامرة اليوم التي قررت بها حكومة السعودية العمل مع قوى الغرب على تدمير دولة مسلمة.. عاصمتها اليوم بغداد أيضًا.

وفي الجهـــة الأخـــرى، وفي عـــام ٢٧٢ أو ٢٧٣ هـــ عقدت معاهدة مماثلة بين حكومة بغداد والإمبراطور الروماني. لم تكن حكومة بغداد يومئذ تمثل العراق وحده، وإنما بلادًا أخرى معه، ولذلك من الأنسب أن تسمى الحكومـــة الإســـلامية في بغداد. وكان الغرض من المعاهدة تضافر الطرفين للقضاء على حكومة المسلمين في أسبانيا.

فكان عام ٢٧١هـــ فاتحة الطريق إلى تخريب سلام المسلمين إلى الأبد. وكل حدث جلل وقع بعد ذلك على رؤوس المسلمين تورطت فيه حتما دولة مسلمة متآمرة على غيرها من المسلمين.

في عـــام ٦٣٧هـــ (١٢٥٨م) دمر هولاكو خان بغداد. هكذا كان قدرها. يخبرنا التاريخ أن المستعصم آخر خلفاء العباسيين كان غاية في الضعف. كان وزيره من الشيعة، ويحمل ضغينة للمستعصم لما اتخذه من إجراءات عـــنيفة ضـــد الشيعة. والحق أن أعمال المستعصم كانت عدوانية، ولم يكن له الحق فيها. فانتقم منه بأن دعا هولاكـــو خان لمهاجمته. كان هولاكو ماضيًا في غزوه.. ولكنه كان مترددًا في الهجوم على بغداد ظنًّا منه أن ذلك غير مجدٍ أو معقول. فبعث إليه الوزير الشيعي رسالة يشرح له أن رهبة حكومة بغداد لا أساس لها، وأنها دولـــة فارغـــة من الداخل. وعمل الوزير على تشتيت الجيش الإسلامي زاعمًا للمستعصم أن خزانة الدولة لا تـــتحمل عبء ذلك الجيش الضخم. وأرسل جزءًا من الجيش إلى حدود لا خطر يتهددها. وباختصار، دُعي هولاكو لدخول بغداد. فوقع بها الخراب الفظيع، وسقطت الحكومة المسلمة.

وليست المناسبة للدخول في تفصيل هذا الحدث المؤلم، ولعل الكثيرين منكم قد قرأوا عنه.. فقد كتبوا روايات محـــزنة عن بغداد ودمارها.. وهي حادثة مشهورة، وفيها اشترك فريق من المسلمين من داخل بلاد الإسلام في التآمر مع أمة من الخارج، وطلبوا منها الهجوم على بغداد!

وبعد ذلك في عام ١٣٨٦م خُربت بغداد مرة ثانية على يد تيمورلنك. وفي هذه المرة أيضًا كان نتيجة لنفاق وشقاق بعض المسلمين، الذين أتاحوا لتيمورلنك الفرصة كي يدمر بغداد ويقضي على الإمبراطورية الإسلامية.

والمرة الثالثة كانت على يد الأتراك العثمانيين. فقضى المسلمون أنفسهم على حكومة بغداد المسلمة وذلك في عام ١٦٣٨م.

وبعد ذلك طلبت الحكومة الإنجليزية مساعدة الأسرة الحاكمة السعودية للقضاء على الحكومة التركية. كانت الأســـرة هي نفسها التي تحكم السعودية اليوم وتنتمي إلى نفس الطائفة. وكانت الكويت في ذلك الوقت تعين الإنجليز عونا ملحوظا. ولولا عون هذه الأسرة السعودية، وهي أسرة سياسية، استغلت الفكر الوهابي للوصول إلى الحكـــم، ولـــولا قبائل الكويت لما تمكن الإنجليز من القضاء على الإمبراطورية التركية في العالم الإسلامي. رفعوا شعار "التعريب" وغيره من الأعمال.. إنها قصة طويلة. وهكذا في تلك المرة أيضًا استخدمت قوة أجنبية بعض المسلمين للقضاء على إمبراطورية إسلامية عظمى.

دمَّـــر الأتـــراك حكومة بغداد أولا، ثم بمساعدة المسلمين في الكويت والسعودية قُضي على حكومة الأتراك وكُســـرت شـــوكتهم. وهـــاك موقف مشابه يحدث مرة أخرى. فبمساعدة الحكومة السعودية، وبتأييد من الحكومات المجاورة لها.. تتعرض دولة مسلمة كبيرة لخطر شديد. وكما قدَّرت.. فإن الغرب قرر هذه المرة أن ينال العراق عقابًا شديدًا رهيبًا.. حتى يكون عبرة للآخرين لعشرات من السنين.. فلا تحاول دولة إسلامية أن ترفع رأسها ضدهم أو أن تتحرر من سلطانهم.

**حماية المصالح الإسرائيلية**

والسـبب الأكـبر وراء ذلـك هو إسرائيل. إنها دأبت على إحداث جلبة شديدة منذ فترة طويلة.. تتظاهر بالخوف من هجوم عراقي كيماوي. يقولون نحن دولة صغيرة، ولو هاجمتنا العراق لمحتنا من على سطح الأرض. وسـواء أكان الخطر حقيقيًا أو وهميًا، ومن دون البحث عن المسئول.. فمن المتيقن المؤكد أن إسرائيل ومصالح إسـرائيل هي السبب الأكبر خلف الموقف الحالي. ويبدو الموقف الآن وكأن عالم الإسلام قد هبَّ للدفاع عن مصـالح إسـرائيل وحمايتها. وفي سبيل ذلك قرروا القضاء على دولة مسلمة ارتكبت فعلاً بعض أعمال غير إسلامية منافية للتقوى والعدل، ولكنها بالرغم من ذلك.. لا تستحق الدمار الشامل والخراب الكامل.

**عداوات دفينة**

لطالمـا انتُهِكت العدالة ولا تزال تُنتهَك في كثير من أنحاء العالم، ولم تحرك القوى الكبرى ساكنا، ولم ترفع إصـبعًا ضدها. إن ما تفعله هذه القوى ليس من أجل العدالة بل هناك عداوات دفينة تحركهم للانتقام. وهذا الهجوم الشرس هو في حقيقته موجه ضد الإسلام.. وإن كان ظاهره الهجوم على دولة مسلمة ارتكبت أعمالاً غير إسلامية. هذه العداوات عميقة، ولها جذور تاريخية. لقد اتخذوا قرارهم هذه على مستويات عليا. رأوا أن العراق دولة إسلامية ناهضة قوية، ولو تركوها لتشب وتنهض فسوف تبتلع البلاد المجاورة، وتخلق بذلك اتحادًا إسلاميًا قويًا في منطقة الشرق الأوسط الذي يحتوي معظم الثروات البترولية في العالم، سوف تكون له القدرة على الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد وفي الميادين الأخرى، وقد يصبح قوة عسكرية كبيرة.

هـذه هي مخاوفهم. وأيًا كانت تلك المخاوف، فإن الخطر الأكبر الذي يجب أن يراه العالم الإسلامي اليوم.. أنـه بمساعدة وتأييد بلاد إسلامية اتُّخذ قرار لتدمير دولة إسلامية صاعدة.. حتى ينمحي أثرها. والفئة الحاكمة التي تدير دفة الأمور في هذا البلد هي المسئولة عن ذلك. فماذا يكون الحلّ في مثل هذا الموقف؟

**على العراق تصويب خطئه**

أرى أن الوقت لم يفت بعد بحيث لا يمكن السيطرة عليه. ولكن ليس أمام المسلمين طريق للخلاص والسلام سـوى طريق العودة إلى الله ورسوله. أما العراق فعليهم أن يكُفوا عن تشويه القيم الإسلامية، وأن يتوقفوا عن تعـريض الإسلام لمزيد من سخرية العالم. يجب أن يخلّوا سبيل كل الأجانب من جميع الجنسيات.. ويتركوهم أحـرارا يغـادرون العـراق وقـتما يشاءون، ويقولوا لهم: لا حق لنا عليكم، وسوف نسوي حساباتنا مع حكوماتكم وليس معكم. أنتم أفراد أبرياء في ذمتنا. إن تعاليم الإسلام تعتبر كل أجنبي مقيم بسبب مشروع في بلد إسلامي أمانةً في يد الدولة.. حتى وإن دخلت في نـزاع أو قتال مع بلده. وخيانة هذه الأمانة له عواقب وخيمة وتبعات رهيبة.

إن نـار الانـتقام المشـتعلة اليوم سوف تتأجج بسبب هذه الخيانة وتزداد التهابًا.. فتحرق مئات الألوف من المسلمين. إن قادة الدول وأعوانهم نفر قليل العدد، ولكن الضحايا سيكونون من عامة المسلمين الأبرياء، وهم الذين سيكونون وقودًا للحرب، وهدفًا للانتقام بعد الحرب.

لذا يجب على قادة العراق أن يسلكوا سبيل التقوى ليتفتح أمامهم طريق السلام. فعليهم أولاً أن يطلقوا حرية النـــزلاء الأجانب، وثانيًا أن يبلغوا العالم الإسلامي باستعدادهم لقبول قراراتهم والخضوع لأحكامهم، ولتقديم كافـــة الضـــمانات بالانســـحاب من الكويت، وإقامة السلام. ليس لهم شرط سوى أن يكون القرار للدول الإسلامية وحدها، ولا يتدخل غيرهم في الأمر.

يجـــب أن تتم هذه الخطوة بالقوة والفعالية كما جرى في معاهدة السلام مع إيران بعد حرب دموية طويلة.. ضاعت فيها الملايين بين قتلى وجرحى، وأعاد لها العراق كل أراضيها. إذا أمكن ذلك فلِم لا يفعلونه الآن قبل سفك الدماء؟ ينبغي على العراق أن يُقدم على الخطوة التالية، فينسحب من الكويت، ويؤكد للعالم الإسلامي أنه كما عقدنا معاهدة سلام مع إيران للوقوف أمام القوى المضادة للإسلام كذلك نحن مستعدون لمعاهدة سلام معكم جميعًا لحمايتنا من اعتدائهم.

فعدوانهـــم علينـــا عدوان على بلاد الإسلام كلها، سوف يدمّرون به قوات الإسلام بحيث لن تنهض لعشرات السنين، وسوف تمزق الدول الإسلامية كل ممزق، وتضطر للاعتماد على الأعداء كلية.

إن هـــذه السحابات المرعبة تزمجر مرعدة، والبرق المحرق يلمع. فإذا كانوا لا يرونه فذلك مدهش حقا!.. ألا تســـمعون أصـــوات الـــرعد، ولا تـــرون الأخطار المحدقة.. وتتصرفون كشأن الجهلة، فتتفرقون إلى حزبين، وتستعدون لمقاتلة بعضكم بعضا!

لا بـــد وأن يبعث العراق بهذه الرسالة، ويذيعها مرات ومرات في أنحاء العالم بكل وسائل الإعلام. يجب أن يخـــبر عـــالم الإسلام ويقول: إننا نعترف بخطئنا، ونخضع لحكمة الإسلام. فقط استبعِدوا الآخرين. هذا النداء ســـوف يجعل الرأي العام الإسلامي يهب مؤيدا العراق بقوة تجعل الحكومات الأخرى.. التي لجأت لسوء نياتها إلى طـــلب المعونة من غير المسلمين.. لتعدل من موقفها وتتصرف تصرفًا سليمًا إزاء هذا النداء. وإذا لم تعدل هـــذه الحكومات موقفها.. وكان تصرف الدول الإسلامية إرضاءً لله، وعلى ضوء تعاليمه بالرجوع إلى القرآن الكريم. فإن الله تعالى سيكون حامي العراق، ولسوف يصونهم من كل خطر يحوم حولهم.

**نصيحة "درويش"**

إن دعـــوتي هـــذه دعوة "درويش". إنها نصيحة إنسان متواضع.. ولو وَعاها قلب وانصاع لها انتفع بها، لأنها تعالـــيم القرآن الكريم. أما إذا رفضتم نصيحتنا بدافع الكِبر والرعونة.. فإني أحذركم اليوم.. بأن عالم الإسلام ســـوف يواجه أخطارًا فظيعة لا قبل له بها.. وسيبقى بسببها باكيًا يندب حظه، ضاربًا برأسه في الصخر لأمد بعيـــد. ولـــن يكون له مخرج منها، ولن يكون له سبيل لاستعادة قوته الضائعة وشرفه وكرامته التي اكتسبها.. ويمكن أن يكتسبها.

الواقع أن بلاد المسلمين قد وصلت إلى مرحلة بحيث إذا استمروا في التقدم بهدوء وحكمة، بعيدًا عن العنف، فإنهم في العشر أو الخمس عشر سنة القادمة سيتمكنون من أن يكونوا قوة عظمى، لا ينظر إليها الآخرون نظرة

ســـوء حتى وإن أرادوا ذلك. أما إذا تعثروا الآن وارتكبوا الخطأ.. فسوف يقعون في وهدة الهلاك يتعذر منها النجاة.

وأودّ في نفس الوقت أن أذكر الجماعة الإسلامية الأحمدية بأن يبتهلوا إلى الله تعالى بجِدٍ وإلحاح وقلب متألم. ومهمـــا كـــانت التجاوزات التي ترتكبها الحكومات الإسلامية ضدنا، أو التي ارتكبتها في الماضي، أو سوف ترتكـــبها في المستقبل.. فهذا فعلهم الذي يحاسبهم الله عليه، ولكننا معشر الأحمديين المخلصين للإسلام وقيم الإســـلام.. لا نخشـــى أن ننـــبّه إلى خطأ تقع فيه دولة مسلمة.. ونسألهم في تواضع.. أن يصححوا خطأهم، ويصلحوا من أنفسهم. ولربما صاروا أعداء لنا بسبب نصحنا لهم، أو ربما فكروا في الانتقام منا في قادم الأيام.. ولكننا لا نعبأ بذلك.. لأن موقفنا خالص لوجه الله تعالى. نحن نعرف أن روح الإسلام إنما هي في القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم ﷺ. وإذا كنا نحب القرآن وسنة المصطفى ﷺ فلا بد وأن نحافظ على هذه الروح، ونحميها بأرواحـــنا. والأحمديون في كل أنحاء العالم مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل ذلك، ولن يتوقفوا عن قول الحق، ولن تستطيع قوة في العالم منعهم من التعبير عن الحق.

وأمـــا إذا لم يرضَ أحد بنصيحة حقة تهدف إلى صالح الناس فلا ضير.. فإن ملاذنا إلى الله تعالى، وثقتنا في ربّنا جل جلاله، ولا نخشى ساسة الدنيا.

أودّ أن أسوق لكم البشرى بشأن النصيحة التي قدمتها آنفا.. فقد كان مقدرا لي أن أقدمها اليوم.. قدّر الله تعالى ذلك منذ زمن طويل. لقد كتب الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام) في كتابه (حمامة البشرى):

"إن ربي بشَّرني في العرب، وألهمني أن أمونهم وأُريهم طريقهم، وأُصلح لهم شؤونهم، وستجدونني في هذا الأمر إن شاء الله من الفائزين."

فالمهمـــة الـــتي عيّـــن اللهُ الإمـــامَ المهدي المسيحَ الموعود من أجلِها هي هدايتهم إلى طريق الحق، وتصحيح مواقفهـــم.. وأنا خادمه المتواضع، وخليفته.. أقوم الآن بمهمته. وعلى ضوء البشارة في هذا الوحي، أبشر عالم المسلمين جميعًا.. أنهم إذا اتبعوا النصيحة المتواضعة من هذا "الدرويش".. فلا شك أنهم سوف يفلحون ويعلون في هـــذه الدنيـــا وفي الآخرة. أمّا، لا سمح الله، لو أنهم نبذوها تحقيقًا لمصالحهم الدنيوية الزائلة، وألقوا مصالح الإســـلام وراء ظهورهم، ولم يبالوا بتعاليم الإسلام.. فلن تكون هناك قوة لإنقاذهم من غضب الدنيا وغضب الله تعالى.

عسى الله تبارك وتعالى أن يُقرَّ عيوننا من قِبل العالم الإسلامي، ويُسعد قلوبنا، ويزيل عنا الهم والحزن، ويفرج عنا الكرب والألم الذي يعاني منه بالتأكيد كل مسلم أحمدي!.. آمين.

**١٧ أغسطس ١٩٩٠**